

فصل

في خطبته ﷺ بتبوك وصلاته

ذَكَرَ البيهقي في "الدلائل" والحاكم من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَاسْتَرَقَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً، لَمَّا كَانَ مِنْهَا عَلَى لَيْلَةٍ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ فِيهَا حَتَّى كَانَتْ الشَّمْسُ قَيْدَ رُمَحٍ، قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ يَا بِلَالُ: اكْلَأْ لَنَا الْفَجَرَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ بِي مِنَ النَّوْمِ الَّذِي ذَهَبَ بِكَ. فَانْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ صَلَّى، ثُمَّ ذَهَبَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ، فَأَصْبَحَ بِتَبُوكَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَوْثَقُ الْعُرَى كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَخَيْرَ الْمِلَلِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَخَيْرَ السُّنَنِ سُنَّةُ مُحَمَّدٍ، وَأَشْرَفَ الْحَدِيثِ ذِكْرُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْقَصَصِ هَذَا الْقُرْآنُ، وَخَيْرَ الْأُمُورِ عَوَازِمُهَا، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَأَحْسَنُ الْهُدَى هَدَى الْأَنْبِيَاءِ، وَأَشْرَفَ الْمَوْتِ قَتْلُ الشُّهَدَاءِ، وَأَعْمَى الْعَمَى الضَّلَالَةُ بَعْدَ الْهُدَى، وَخَيْرُ الْأَعْمَالِ مَا نَفَعَ، وَخَيْرُ الْهُدَى مَا اتَّبَعَ، وَشَرُّ الْعَمَى عَمَى الْقَلْبِ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَمَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَى، وَشَرُّ الْمَعْذِرَةِ حِينَ يَخْضُرُ الْمَوْتُ، وَشَرُّ التَّدَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَأْتِي الْجُمُعَةَ إِلَّا دُبْرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا هَجْرًا، وَمِنْ أَعْظَمِ الْخَطَايَا اللِّسَانُ الْكَذَّابُ، وَخَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ، وَخَيْرُ الزَّادِ التَّقْوَى، وَرَأْسُ الْحُكْمِ مَخَافَةُ اللَّهِ ﷻ، وَخَيْرُ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ الْيَقِينُ، وَالْإِرْتِيَابُ مِنَ الْكُفْرِ، وَالنِّيَاحَةُ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْعُلُولُ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ، وَالسُّكْرُ كَيِّ مِنَ النَّارِ، وَالشَّعْرُ مِنْ إِبْلِيسَ، وَالْخَمْرُ جِمَاعُ الْإِثْمِ، وَشَرُّ الْمَأْكَلِ مَالُ الْيَتِيمِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى مَوْضِعٍ أَرْبَعَةَ أَذْرُعٍ، وَالْأَمْرُ إِلَى الْآخِرَةِ، وَمَلَكَ الْعَمَلِ خَوَاتِمُهُ، وَشَرُّ الرِّوَايَا رَوَايَا الْكَذِبِ، وَكُلُّ مَا هُوَ أَتَى قَرِيبٌ، وَسَبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَحُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ، وَمَنْ يَتَّأَلَّ عَلَى اللَّهِ يُكَذِّبُهُ، وَمَنْ يَغْفِرُ يُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ يَكْظِمِ الْعَيْظَ يَأْجُرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ عَلَى الرِّزْيَةِ يَعْوَضْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَبْتَغِ السُّمْعَةَ يُسَمِّعِ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُضْعِفِ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ يُعْذِبْهُ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا.

الطالب: عليه حاشية: أخرجه البيهقي من طريق يعقوب بن محمد الزهري، عن عبدالعزيز بن عمران: حدثنا مصعب بن عبدالله، عن منظور بن سيار: أخبرني أبي: سمعتُ عقبة بن عامر الجهني ر. وهذا إسنادٌ ضعيفٌ جداً؛ يعقوب بن محمد الزهري كثير الوهم، كثير الرواية عن الضعفاء. وعبدالعزيز بن عمران متروك، احترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلظه. ومنظور بن سيار لا يُعرف، وكذا أبوه، وقال ابن كثير: وهذا حديثٌ غريب، وفيه نكارة، وفي إسناده ضعف.

الشيخ: هذه كلمات جمعها بعض الرواة، قواعد، كلمات عظيمة جمعت لبعض الرواة، ورواها حديثاً عن النبي ﷺ، وهي قواعد مهمة، وكلمات مهمة، ولكن كثير منها شواهد من الأحاديث الصحيحة،

ومن الآيات، ولكن مثلما قال المحشي وابن كثير: إسناده ليس بصحيح. لكن جمعها بعض الرواة وجعلها حديثاً مرفوعاً.

س:

ج: بعضها، ما هو كلها، بعضها له شواهد.

وَذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ فِي "سُنَنِهِ" مِنْ حَدِيثِ ابْنِ وَهَبٍ: أَخْبَرَنِي مُعَاوِيَةُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ غَزْوَانَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ نَزَلَ بِتَّبُوكَ وَهُوَ حَاجٌّ، فَإِذَا رَجُلٌ مُقْعَدٌ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ أَمْرِهِ، قَالَ: سَأَحْدِثُكَ حَدِيثًا فَلَا تُحَدِّثُ بِهِ مَا سَمِعْتَ أَنِّي حَيٌّ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ بِتَّبُوكَ إِلَى نَخْلَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ قِبْلَتُنَا، ثُمَّ صَلَّى إِلَيْهَا، قَالَ: فَأَقْبَلْتُ وَأَنَا غُلَامٌ أَسْعَى حَتَّى مَرَرْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، فَقَالَ: قَطَعَ صَلَاتِنَا، قَطَعَ اللَّهُ أَثَرَهُ، قَالَ: فَمَا قُمْتُ عَلَيْهِمَا إِلَى يَوْمِي هَذَا.

الطالب: في الحاشية: أخرجه أبو داود في "الصلاة" باب "ما يقطع الصلاة"، ومعاوية هو ابن صالح، صدوق له أوهام، وسعيد بن غزوان مجهول.

الشيخ: والمتن غير صحيح؛ لأنَّ الرسول ما يدعو عليه بهذا الدعاء عليه الصلاة والسلام، فالرجل لا يقطع الصلاة، إنما يقطعها الحمار والمرأة والكلب الأسود، الرجل لا يقطع الصلاة، وهو ﷺ لا يدعو عليه بهذا الدعاء.

س:

ج: المرور ممنوع، لكن هذا الدعاء: "قطع صلاتنا، قطع الله أثره" ما يقوله النبي؛ لأنَّ الرجل لا يقطع الصلاة.

س: الحديث ضعيف السند والمتن؟

ج: نعم، المتن منكر، والسند ضعيف.

ثُمَّ سَأَلَهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ طَرِيقٍ وَكَيْعٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ مَوْلَى لِيَزِيدِ بْنِ نَمْرَانَ، عَنْ يَزِيدِ بْنِ نَمْرَانَ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا بِتَّبُوكَ مُقْعَدًا، فَقَالَ: مَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اقْطَعْ أَثَرَهُ، فَمَا مَشَيْتُ عَلَيْهِمَا بَعْدُ. وَفِي هَذَا الْإِسْنَادِ وَالَّذِي قَبْلَهُ ضَعْفٌ.

الشيخ: ولو صحَّ فله وجه؛ لأنَّ الحمار موجودٌ معه، لكن العمدة على الأسانيد.

فَصَلِّ

فِي جَمْعِهِ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ ابْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ إِذَا ارْتَحَلَ قَبْلَ أَنْ تَزِيغَ الشَّمْسُ آخِرَ الظُّهْرِ حَتَّى يَجْمَعَهَا إِلَى الْعَصْرِ فَيُصَلِّيهِمَا جَمِيعًا، وَإِذَا ارْتَحَلَ قَبْلَ الْمَغْرَبِ آخِرَ الْمَغْرَبِ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْعِشَاءِ، وَإِذَا ارْتَحَلَ بَعْدَ الْمَغْرَبِ عَجَلَ الْعِشَاءَ فَصَلَّاهَا مَعَ الْمَغْرَبِ.

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: إِذَا ارْتَحَلَ بَعْدَ زَيْغِ الشَّمْسِ عَجَلَ الْعَصْرَ إِلَى الظُّهْرِ، وَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا. وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ، وَلَيْسَ فِي تَقْدِيمِ الْوَقْتِ حَدِيثٌ قَائِمٌ.

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ حَزْمٍ: لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ لِيَزِيدَ ابْنِ أَبِي حَبِيبٍ سَمَاعًا مِنْ أَبِي الطُّفَيْلِ.

وَقَالَ الْحَاكِمُ فِي حَدِيثِ أَبِي الطُّفَيْلِ هَذَا: هُوَ حَدِيثٌ رَوَاهُ أَيْمَةُ ثِقَاتٍ، وَهُوَ شَاذٌ الْإِسْنَادِ وَالْمَنْشَأِ، لَا نَعْرِفُ لَهُ عِلَّةً نُعَلِّلُ بِهَا، فَتَطَرَّنَا فَإِذَا الْحَدِيثُ مَوْضُوعٌ. وَذَكَرَ عَنِ الْبُخَارِيِّ: قُلْتُ لِقُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ: مَعَ مَنْ كَتَبْتَ عَنِ اللَّيْثِ حَدِيثَ يَزِيدَ ابْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ؟ قَالَ: كَتَبْتُهُ مَعَ خَالِدِ الْمَدَائِنِيِّ، وَكَانَ خَالِدُ الْمَدَائِنِيِّ يُدْخِلُ الْأَحَادِيثَ عَلَى الشُّيُوخِ.

وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوَهَّبِ الرَّمْلِيِّ: حَدَّثَنَا مُفَضَّلُ بْنُ فَضَالَةَ وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحَلَ جَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَفِي الْمَغْرَبِ مِثْلَ ذَلِكَ؛ إِنْ غَابَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحَلَ جَمَعَ بَيْنَ الْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ، وَإِنْ ارْتَحَلَ قَبْلَ أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ آخِرَ الْمَغْرَبِ حَتَّى يَنْزِلَ لِلْعِشَاءِ ثُمَّ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا.

وَهِشَامُ بْنُ سَعْدٍ ضَعِيفٌ عِنْدَهُمْ؛ ضَعَّفَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَابْنُ مَعِينٍ، وَأَبُو حَاتِمٍ، وَأَبُو زُرْعَةَ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، وَكَانَ لَا يُحَدِّثُ عَنْهُ، وَضَعَّفَهُ النَّسَائِيُّ أَيْضًا، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّازُ: لَمْ أَرِ أَحَدًا تَوَقَّفَ عَنْ حَدِيثِ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ، وَلَا اعْتَلَّ عَلَيْهِ بِعِلَّةٍ تُوجِبُ التَّوَقُّفَ عَنْهُ. وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: حَدِيثُ الْمَفْضَلِ وَاللَّيْثِ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ.

الشيخ: ولكن معناه صحيح، وأنَّ سنته ﷺ تدل على الجمع عند الحاجة، فإذا ارتحل المسافر قبل زِيغِ الشمس شرع له أن يؤخِّرَ الظهر مع العصر، جمع تأخير، وإذا ارتحل قبل غروب الشمس شرع له أن يؤخِّرَ المغرب مع العشاء، جمع تأخير، وقد ثبت عن ابن عمر ما يدل على ذلك أيضًا، وأنه من السنة.

أما إذا ارتحل بعد الغروب فإنه يُقدَّم العشاء مع المغرب، ويصير جمع تقديم، وإذا ارتحل بعد أن تزيغ الشمس قدَّم العصر مع الظهر، جمع تقديم.

أما النَّازِل المستريح فالأفضل عدم الجمع، كما فعل النبيُّ في منى؛ لما كان نازلاً صَلَّى كُلَّ صَلَاةٍ في وقتها عليه الصلاة والسلام، هذا هو الأفضل: إذا كان نازلاً المسافر صَلَّى كلَّ صَلَاةٍ في وقتها.

س: جمع التَّأخير ثابت في الصحيح، لكن جمع التقديم هو؟

ج: نعم، هذا وهذا، كله.

س:؟

ج: فقط في هذا الحديث، في بعض الروايات هذه، ولكن أصل الجمع ثابت.

س:؟

ج: معناه صحيح، معنى الجمع صحيح، ولكن وإن كان في الأحاديث ضعفٌ فشواهدُها كثيرة.

س:؟

ج: محل نظرٍ، أقول: محل نظر.

س: وجه النَّكارة قول أبي داود: هذا منكر. وأيش وجه النَّكارة؟

ج: من جهة السند، من جهة الرجال يعني.

س:؟

ج: إذا ارتحل مسافر، إذا ارتحل من مكانه قبل غروب الشمس أَّخَّرَ المغرب مع العشاء، وإذا ارتحل قبل زَيْغ الشمس -قبل الزوال- أَّخَّرَ الظهر مع العصر، أما إذا ارتحل بعد الزوال جمع العصر مع الظهر، أو ارتحل بعد الغروب جمع العشاء مع المغرب جمع تقديم، هذا هو الأفضل.

س:؟

ج: نعم، القصر والجمع يكون بعد مُفارقة البيوت.

س:؟

ج: هذا ثابت؛ رواه مسلم في "الصحيح"، هذا حُجَّةٌ في الجمع للنَّازل، لكن الأفضل عدمه، كما فعل النبيُّ في آخر حياته ﷺ في منى.

س:؟

ج: الأفضل عدم الجمع للنَّازل المستريح، هذا الأفضل.

س:

ج: لا، مُقيم، أقام عشرين يوماً في تبوك.

فصل

فِي رُجُوعِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ تَبُوكَ، وَمَا هَمَّ الْمُنافِقُونَ بِهِ مِنَ الْكَيْدِ بِهِ، وَعِصْمَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ.

ذَكَرَ أَبُو الْأَسود فِي "مَعَارِيهِ" عَنْ عروَةَ قَالَ: وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ إِلَى الْمَدِينَةِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ مَكَرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَاسٌ مِنَ الْمُنافِقِينَ، فَتَأَمَّرُوا أَنْ يَطْرَحُوهُ مِنْ رَأْسِ عَقَبَةٍ فِي الطَّرِيقِ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْعَقَبَةَ أَرَادُوا أَنْ يَسْلُكُوهَا مَعَهُ، فَلَمَّا غَشِيَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَ خَبَرَهُمْ، فَقَالَ: مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَأْخُذَ بِبَطْنِ الْوَادِي فَإِنَّهُ أَوْسَعُ لَكُمْ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَقَبَةَ، وَأَخَذَ النَّاسُ بِبَطْنِ الْوَادِي إِلَّا النَّفَرَ الَّذِينَ هُمُوا بِالْمَكْرِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَمَّا سَمِعُوا بِذَلِكَ اسْتَعَدُّوا وَتَلَثَّمُوا، وَقَدْ هَمُّوا بِأَمْرِ عَظِيمٍ.

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فَمَشِيَا مَعَهُ، وَأَمَرَ عَمَّارًا أَنْ يَأْخُذَ بِزِمَامِ النَّاقَةِ، وَأَمَرَ حُذَيْفَةَ أَنْ يَسُوقَهَا، فَنَبَّيْنَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ سَمِعُوا وَكُزَّةَ الْقَوْمِ مِنْ وَرَائِهِمْ قَدْ غَشَوْهُ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَ حُذَيْفَةَ أَنْ يَرُدَّهُمْ، وَأَبْصَرَ حُذَيْفَةَ غَضَبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَجَعَ وَمَعَهُ مِحْجَنٌ، وَاسْتَقْبَلَ وَجُوهَ رَوَاجِلِهِمْ، فَضَرَبَهَا ضَرْبًا بِالْمِحْجَنِ، وَأَبْصَرَ الْقَوْمَ وَهُمْ مُتَلَثِّمُونَ، وَلَا يَشْعُرُونَ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِعْلُ الْمُسَافِرِ، فَأَرَعَبَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حِينَ أَبْصَرُوا حُذَيْفَةَ، وَظَنُّوا أَنَّ مَكْرَهُمْ قَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ، فَأَسْرَعُوا حَتَّى خَالَطُوا النَّاسَ.

وَأَقْبَلَ حُذَيْفَةَ حَتَّى أَدْرَكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ: اضْرِبِ الرَّاحِلَةَ يَا حُذَيْفَةَ، وَامْشِ أَنْتَ يَا عَمَّارُ، فَأَسْرَعُوا حَتَّى اسْتَوَوْا بِأَعْلَاهَا، فَخَرَجُوا مِنَ الْعَقَبَةِ يَنْتَظِرُونَ النَّاسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحُذَيْفَةَ: هَلْ عَرَفْتَ مِنْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ أَوْ الرِّكْبِ أَحَدًا؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: عَرَفْتُ رَاحِلَةَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، وَقَالَ: كَانَتْ ظُلْمَةُ اللَّيْلِ، وَغَشِيَتْهُمْ وَهُمْ مُتَلَثِّمُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ عَلِمْتُمْ مَا كَانَ شَأْنُ الرِّكْبِ؟ وَمَا أَرَادُوا؟ قَالُوا: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهُمْ مَكْرُوا لِيَسِيرُوا مَعِيَ حَتَّى إِذَا اطَّلَعْتُ فِي الْعَقَبَةِ طَرَحُونِي مِنْهَا، قَالُوا: أَوْ لَا تَأْمُرُ بِهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا فَضَضْتُ أَعْنَاقَهُمْ؟ قَالَ: أَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ وَيَقُولُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَضَعَ يَدَهُ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَمَّاهُمْ لَهُمَا، وَقَالَ: اكْتُمَاهُمْ.

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَخْبَرَنِي بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، وَسَأُخْبِرُكَ بِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ غَدًا عِنْدَ وَجْهِ الصُّبْحِ، فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا أَصْبَحْتَ فَاجْمَعْهُمْ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: ادْعُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي، وَسَعْدَ بْنَ أَبِي سَرْحٍ، وَأَبَا خَاطِرَ الْأَعْرَابِيِّ، وَعَمَّارًا، وَأَبَا عَامِرٍ، وَالْجَلَّاسَ بْنَ سُوَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ: لَا نَنْتَهِي حَتَّى نَرْمِيَ مُحَمَّدًا مِنَ الْعَقَبَةِ اللَّيْلَةَ، وَإِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ خَيْرًا مِنَّا إِنَّا إِذَا لَعَنَمُ وَهُوَ الرَّاعِي، وَلَا عَقْلَ لَنَا وَهُوَ الْعَاقِلُ.

الشيخ: الحمد لله الذي أبطل كيدهم.

وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ مَجْمَعُ بَنِ حَارِثَةَ، وَمَلِيحًا التَّيْمِيَّ، وَهُوَ الَّذِي سَرَقَ طِيبَ الْكَعْبَةِ وَارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَانْطَلَقَ هَارِبًا فِي الْأَرْضِ، فَلَا يُدْرَى أَيْنَ ذَهَبَ؟

وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ حَصْنَ بَنِ نَمِيرٍ الَّذِي أَغَارَ عَلَى تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَسَرَقَهُ، وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَيْحَكَ! مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ فَقَالَ: حَمَلَنِي عَلَيْهِ أَنِّي ظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا يُطْلِعُكَ عَلَيْهِ، فَأَمَّا إِذَا أَطْلَعَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلِمْتَهُ فَأَنَا أَشْهَدُ الْيَوْمَ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَإِنِّي لَمْ أُوْمِنْ بِكَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ السَّاعَةِ، فَأَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَثْرَتَهُ وَعَفَا عَنْهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ طُعَيْمَةَ بَنِ أَبِي رِقٍّ، وَعَبْدَ اللَّهِ بَنِ عَيْبَةَ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِأَصْحَابِهِ: اسْهَرُوا هَذِهِ اللَّيْلَةَ تَسْلُمُوا الدَّهْرَ كُلَّهُ.

الشيخ: نسأل الله العافية.

فَوَاللَّهِ مَا لَكُمْ أَمْرٌ دُونَ أَنْ تَقْتُلُوا هَذَا الرَّجُلَ، فَدَعَاهُ فَقَالَ: وَيْحَكَ! مَا كَانَ يَنْفَعُكَ مِنْ قَتْلِي لَوْ أَنِّي قُتِلْتُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا نَرَالُ بِخَيْرٍ مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّكَ، إِنَّمَا نَحْنُ بِاللَّهِ وَبِكَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: ادْعُ مَرَّةً بَنَ الرَّبِيعِ.

الشيخ: هذه الكلمة يمكن من بعض الرواة غلط: "إنما نحن بالله ثم بك"، كما بيّن النبي ﷺ في الأحاديث الأخرى، لو صحّت هذه الحكاية فتصحّفت على الراوي، قال: "بالله وبك"، والصواب: "بالله ثم بك".

س:

ج: هذا شيء من عمل المنافقين، عمل المنافقين كثير، قاتلهم الله، هم أعظم عدو، وأقبح عدو، نسأل الله العافية، المنافقون هم أعداء الله: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ [النساء: 145]، لهم وقائع كثيرة في الهمّ بقتل النبي ﷺ، والتصريح بعداوتهم، والكيد له، والدعوة ضده، قاتلهم الله.

.....

وَقَالَ: ادْعُ مَرَّةً بَنَ الرَّبِيعِ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ: نَقْتُلُ الْوَاحِدَ الْفَرْدَ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَامَّةً يَقْتُلُهُ مُطْمَئِنِّينَ. فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: وَيْحَكَ! مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ الَّذِي قُلْتَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِنَّكَ لَعَالِمٌ بِهِ، وَمَا قُلْتُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

فَجَمَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، الَّذِينَ حَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَرَادُوا قَتْلَهُ، فَأَخْبَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِمْ وَمَنْطِقِهِمْ وَسِرِّهِمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ.

الشيخ: جاء الوحي بهذا، اللهم صلّ عليه وسلم.

وَأُطْلِعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ عَلَى ذَلِكَ بِعِلْمِهِ، وَمَاتَ الْإِثْنَا عَشَرَ مُنَافِقِينَ مُحَارِبِينَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ Y: وَهُمْوَا بِمَا لَمْ يَنَالُوا [التوبة:74].

وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ رَأْسَهُمْ، وَلَهُ بَنُو مَسْجِدِ الضَّرَارِ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يُقَالُ لَهُ: الرَّاهِبُ، فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْفَاسِقَ، وَهُوَ أَبُو حَنْظَلَةَ غَسِيلُ الْمَلَائِكَةِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ أَخْرَاهُ اللَّهُ وَإِيَاهُمْ، فَانْهَارَتْ تِلْكَ الْبُقْعَةُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

فَصْلٌ

قُلْتُ: وَفِي سِيَاقِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَهُمْ مِنْ وَجْهِ:

أَحَدُهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَسَرَّ إِلَى خُذِيفَةَ أَسْمَاءَ أُولَئِكَ الْمُنَافِقِينَ، وَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِمْ أَحَدًا غَيْرَهُ، وَبِذَلِكَ كَانَ يُقَالُ لَخُذِيفَةَ: إِنَّهُ صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، وَلَمْ يَكُنْ عَمْرٌ وَلَا غَيْرُهُ يَعْلَمُ أَسْمَاءَهُمْ، وَكَانَ إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ وَشَكُّوا فِيهِ يَقُولُ عَمْرٌ: انْظُرُوا، فَإِنْ صَلَّى عَلَيْهِ خُذِيفَةُ، وَإِلَّا فَهُوَ مُنَافِقٌ مِنْهُمْ.

الثَّانِي: مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَوْلِهِ: "فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي"، وَهُوَ وَهُمْ ظَاهِرٌ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ نَفْسَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي تَخَلَّفَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ.

الشيخ: يعني ما سقناه قبل قليل، ما ساقه المؤلف قبل قليل.

الثَّالِثُ: أَنَّ قَوْلَهُ: "وَسَعْدُ بْنُ أَبِي سَرَحٍ" وَهُمْ أَيْضًا، وَخَطَأُ ظَاهِرٌ؛ فَإِنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي سَرَحٍ لَمْ يُعْرِفْ لَهُ إِسْلَامَ الْبَيْتَةِ، وَإِنَّمَا ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ، ثُمَّ ارْتَدَّ وَلَحِقَ بِمَكَّةَ، حَتَّى اسْتَأْمَنَ لَهُ عُثْمَانُ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ فَأَمَّنَهُ، وَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْءٌ يُكْرَهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَ هَؤُلَاءِ الْإِثْنَيْ عَشَرَ الْبَيْتَةِ، فَمَا أَذْرِي مَا هَذَا الْخَطَأُ الْفَاحِشُ!

الرَّابِعُ: قَوْلُهُ: "وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ رَأْسَهُمْ"، وَهَذَا وَهُمْ ظَاهِرٌ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ دُونَ ابْنِ إِسْحَاقَ، بَلْ هُوَ نَفْسُهُ قَدْ ذَكَرَ قِصَّةَ أَبِي عَامِرٍ هَذَا فِي قِصَّةِ الْهَجْرَةِ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: أَنَّ أَبَا عَامِرٍ لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ بِبِضْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا، فَلَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ خَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ، فَلَمَّا أَسْلَمَ أَهْلُ الطَّائِفِ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، فَمَاتَ بِهَا طَرِيدًا وَحِيدًا غَرِيبًا، فَأَيْنَ كَانَ الْفَاسِقُ وَغَزْوَةُ تَبُوكَ ذَهَابًا وَإِيَابًا؟

س: "فَانْهَارَتْ تِلْكَ الْبُقْعَةُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ" دعاء؟

الطالب: فأرسلوا إليه فقدم عليهم، فلما قدم عليهم أخراه الله وإياهم، فانهارت تلك البقعة؟

الشيخ: يعني هذا من الخبر الذي ما هو بصحيح، يعني: البقعة باقية، هذا من التنبيه للخطأ في الرواية.

س: خبر وإلا دعاء؟

ج: لا، خبر ما هو بصحيح.

س:؟

ج: يتأخر يعني، يتكاسل يعني.



فصل

في هديه ﷺ في خطبته

خَطَبَ ﷺ عَلَى الْأَرْضِ، وَعَلَى الْمَنْبَرِ، وَعَلَى الْبُعِيرِ، وَعَلَى النَّاقَةِ.

وَكَانَ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ، وَيَقُولُ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وَيُقْرَنُ بَيْنَ أَصْبُعَيْهِ: السَّبَّابَةُ وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

الشيخ: وهذا من هديه ﷺ في خطبه عليه الصلاة والسلام، وهديه كله خير، خير هدي هديه عليه الصلاة والسلام، وكان في غالب أوقاته في السفر والإقامة يُذَكِّرُ الناس، ويعظ الناس، ويوجههم إلى الخير، ويُعلم الجاهل، ويُرشد الضَّالَّ، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر عليه الصلاة والسلام، وربما خطب الناس وهو جالس، وربما خطبهم وهو قاعد على الأرض، وربما خطبهم وهو على البعير، وربما خطبهم وهو على المنبر، فهو لا يتكَلَّفُ، بل يذكر حسبما يتيسر، والله بعثه مُذَكِّرًا، وَنَذِيرًا، وَهَادِيًا، وَمُبَشِّرًا، كما قال Y: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا [الأحزاب: 45-46]، فالله أرسله داعيًا ومُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وسراجًا عليه الصلاة والسلام، وَمُعَلِّمًا لَأُمَّتِهِ، وَمُوجِّهًا لَهُمْ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فينبغي لأتباعه من أهل العلم أن يتوخَّوا خُطَاهُ، وأن يسلكوا طريقه في الإنذار والتَّحذِيرِ والعظة والتَّذْكِيرِ والبلاغ والتعليم والجهاد في الأوقات المناسبة، هكذا يكون طالبُ العلم، ولا يتقيد برسميات معينة، بل ينتهز الفرصَ قائمًا وقاعدًا، وعلى المنبر، وغير ذلك، وماشيًا، وراكبًا: في القطار، على البعير، على الحمار، على البغل، في الطائرة، في الباخرة، في السفينة، في أي مكانٍ يتحرى عظة الناس وتذكيرهم وتعليمهم.

وكان إذا خطب احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فالخطبة إذا كانت عن قوة، وعن عناية صار أثرها أشدَّ في القلوب، وإذا كانت الخطبة عن ضعفٍ، وعن رخاوة، كان أثرها كذلك، فينبغي للخطيب أن يكون قويًّا في خطبته، بليغًا مؤثِّرًا، يُؤثر على مَنْ يسمع كلامه، وينطق عن كل قلبه، وعن كل نصحٍ.

ويقول: إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، لَمَا كَانَ دِينُهُ أَكْمَلَ الْأَدْيَانِ، وَكَانَ قَدْ اسْتَوْفَى مَا يَحْتَاجُهُ الْعِبَادُ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ شَرَّ

الأمر مُحدثاتها، يعني: ليس هناك حاجة إلى أي ابتداع، وأي إحداثٍ، فالدين كامل، قد استوفى كلّ ما يحتاجه العباد، فليس بالناس حاجة إلى أن يأتي أحدٌ ويبتدع في الدين، أو يشرع في الدين ما لم يأذن به الله، أو يستحسن عبادات ما أنزل الله بها من سلطانٍ.

ويقول: بُعثت أنا والسّاعة كهاتين يعني: أنه نبي السّاعة عليه الصلاة والسلام، أفضل الأنبياء، وخاتمهم، فليس بعده نبي، ليس بعده إلا السّاعة، يقول: كهاتين يقرن أصبعيه: السّباحة بالوسطى، يعني: أنه قريب من آخر الزمان، وأن السّاعة تقوم على أمته، وعلى آخر أمته، يعني: فلا تنتظروا نبياً بعدي يُعلّمكم، ليس هناك إلا ما جاء به هذا النبي عليه الصلاة والسلام، ليس هناك نبي آخر سيأتي بتعليم جديدٍ، لا، تعليم أول الأمة وآخرها واحد، وهو ما جاء به عليه الصلاة والسلام، وهو تعليم الصحابة، وتعليم من بعدهم إلى يوم القيامة، وهو ما دلّ عليه كتابُ الله، وهو القرآن، أو جاءت به سنة رسول الله ﷺ، وهي الوحي الثاني، وهي كلامه وفعله وتقريراته، هذه هي السنة، فما قال هو أو أقرّ عليه أو فعله من العبادات فهذه سنته: وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطُقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ [النجم: 1-4]، فما يُنبّه إليه، ويأمر به، وينهى عنه، وحي من الله.

وبهذا يكون المؤمنُ مُهتَمّاً بهذا الأمر، يعتني بالقول والفعل، ويتتبع سنته القولية والعملية، حتى يأخذ دينه عن ذلك، وحتى لا يحتاج إلى أحدٍ، وحتى لا تلتبس عليه الأمور بما يُحدثه الناس، فإنَّ العبد إذا قلَّ علمه التبتست عليه الأمور، فإذا جدَّ في طلب العلم، وتحرى ما جاء به عليه الصلاة والسلام، وجدَّ في ذلك، وصدق في ذلك، يطَّلَع على الشيء الكثير مما جاء به عليه الصلاة والسلام، وأغناه الله بما جاء به الوحي عن الحاجة إلى الناس، كما قال تعالى: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ [النحل: 89]، وقال عليه الصلاة والسلام: ما بعث الله من نبيٍّ إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، ويُنذرهم شرَّ ما يعلمه لهم خرَّجه مسلم في "الصحيح". كل نبيٍّ هكذا، فأخر الأنبياء وأعظمهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فلا بدَّ أن يكون بلاغه لهذه الأمة وإنذاره لها لها أكمل ممن قبله عليه الصلاة والسلام، فحياته كلها وعظه، كلها توجيهه، كلها تذكيره، كلها إنذار، كلها عظة، كلها بيان لمن غني بذلك.

.....

وَكَانَ لَا يَخْطُبُ خُطْبَةً إِلَّا افْتَتَحَهَا بِحَمْدِ اللَّهِ.

وَأَمَّا قَوْلُ كَثِيرٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ: إِنَّهُ يَفْتَتِحُ خُطْبَةَ الْاِسْتِسْقَاءِ بِالِاسْتِغْفَارِ، وَخُطْبَةَ الْعِيدَيْنِ بِالتَّكْبِيرِ. فَلَيْسَ مَعَهُمْ فِيهِ سُنَّةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْبَيِّنَةُ، وَسُنَّتُهُ تَقْتَضِي خِلَافَهُ، وَهُوَ افْتِتَاحُ جَمِيعِ الْخُطَبِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ، وَهُوَ أَحَدُ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ لِأَصْحَابِ أَحْمَدَ، وَهُوَ اخْتِيَارُ شَيْخِنَا -قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ.

الشيخ: وهذا هو المقصود، كان يبدأ كلماته بالحمد عليه الصلاة والسلام، يبدأ خطبه بالحمد لله، وهذا هو الأفضل.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن خطب العيد تبدأ بالتكبير، واحتجوا بأثر مرسلي عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: أن النبي ﷺ بدأ خطبته في العيد بتسع تكبيرات. ولكن هذا المرسل لا يحتاج به في مقابل الأحاديث الصحيحة الدالة على بدئه خطبه بالحمد، هذا هو الأفضل.

.....

وَكَانَ يَخْطُبُ قَائِمًا، وَفِي مَرَاثِيلِ عِطَاءٍ وَغَيْرِهِ: أَنَّهُ كَانَ ﷺ إِذَا صَعِدَ الْمُنْبَرَ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. قَالَ الشَّعْبِيُّ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يَفْعَلَانِ ذَلِكَ.

الشيخ: علق على هذا؟

الطالب: حديث صحيح: أخرجه عبدالرزاق: أخبرنا ابن جريج، عن عطاء. وروى أيضًا هو وابن المنذر يحدث عن الشعبي قال: كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر أقبل على الناس بوجهه وقال: السلام عليكم، قال: فكان أبو بكر وعمر يفعلان ذلك رواه ابن ماجه من حديث جابر، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

وفي الباب عن ابن عمر عند الطبراني

الشيخ: نعم، هذه المرسلات كلها ضعيفة، مرفوعة وضعيفة، يشد بعضها بعضًا في عند صعود المنبر.

.....

وَكَانَ يَخْتِمُ خُطْبَتَهُ بِالِاسْتِغْفَارِ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَخْطُبُ بِالْقُرْآنِ.

وفي "صحيح مسلم" عن أم هشام بنت حارثة.

الشيخ: "التقريب" حاضر؟ انظر: عامر بن شراحيل الشعبي.

عَنْ أُمِّ هِشَامِ بِنْتِ حَارِثَةَ قَالَتْ: مَا أَخَذْتُ قِ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ [ق:1] إِلَّا عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقْرَأُهَا كُلَّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ عَلَى الْمُنْبَرِ إِذَا خُطِبَ النَّاسُ.

الشيخ: هذا وهذا، وصح عنها أنها سمعته يقرأ (ق) على المنبر، وأخذت عنه السورة، وهكذا يقرأها في صلاة الفجر أيضًا.

الطالب: عامر بن شراحيل الشَّعبي -بفتح المعجمة- أبو عمرو، ثقة، مشهور، فقيه، فاضل، من الثالثة، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه. مات بعد المئة وله نحو من ثمانين. (ع).

.....

الشيخ: يُروى أنه قال: ما كتبتُ سوداء في بيضاء. يعني: حفظ، عنده قوة حفظ.

وَذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا تَشَهَّدَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعَصِهِمَا فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: عَنْ يُونُسَ: أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ شِهَابٍ عَنْ تَشَهُّدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَذَكَرَ نَحْوَ هَذَا، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: وَمَنْ يَعَصِهِمَا فَقَدْ غَوَى.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَبَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا خَطَبَ: كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، لَا بُعْدَ لِمَا هُوَ آتٍ، وَلَا يُعَجِّلُ اللَّهُ لِعَجَلَةٍ أَحَدٍ، وَلَا يَخْفُفُ لِأَمْرِ النَّاسِ، مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا مَا شَاءَ النَّاسُ، يُرِيدُ اللَّهُ شَيْئًا، وَيُرِيدُ النَّاسُ شَيْئًا، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَلَوْ كَرِهَ النَّاسُ، وَلَا مُبْعَدَ لِمَا قَرَّبَ اللَّهُ، وَلَا مُقَرَّبَ لِمَا بَعَدَ اللَّهُ، وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ.

الشيخ: أيش قال المحشي على أول شيء؟

الطالب:

الشيخ: تم كلامه.

الطالب: نعم.

وَكَانَ مَدَارُ خُطْبِهِ عَلَى حَمْدِ اللَّهِ وَالتَّنْائِ عَلَيْهِ بِآلَائِهِ وَأَوْصَافِ كَمَالِهِ وَمَحَامِدِهِ.

الشيخ: وهذا الذي تقدم الكلام فيه غير مرة: بنس الخطيب أنت هذا يحتمل أنه كان أولاً ثم نُسخ ذلك، فَإِنَّ خُطْبَهُ الْكَثِيرَةَ وَأَحَادِيثَهُ الْكَثِيرَةَ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى جَوَازِ التَّنْثِيَةِ فِي جَمْعِ الضَّمِيرِ، وَهِيَ أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ عَدِي، وَيَحْتَمِلُ أَنْ هَذَا كَانَ أَوَّلًا، ثُمَّ جَاءَ النَّسْخُ، وَيَحْتَمِلُ التَّرْجِيحُ، وَأَنْ أَحَادِيثَ الْجَمْعِ أَرْجَحُ مِنْ حَدِيثِ الْفَصْلِ، وَلَعَلَّ إِنكَارَهُ ﷺ لِلرَّجُلِ حَيْثُ قَالَ: "وَمَنْ يَعَصِهِمَا" كَانَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِتَنْثِيَةِ الضَّمِيرِ؛ لِأَنَّ التَّرْجِيحَ هَذَا صَحِيحٌ، وَهَذَا صَحِيحٌ، لَكِنْ قَدْ يَكُونُ النَّهْيُ مَنْسُوخًا، بِدَلِيلِ أَنَّهُ ﷺ تَابَعَ خُطْبَهُ بِذَلِكَ وَكَلَامَهُ.

ومن ذلك قوله: ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، في أحاديث كثيرة لا تُحصى في "الصحيحين" وغيرهما، وإذا لم تتوافر شروط النسخ بقي الترجيح، فإنَّ العلماء لهم فيما يختلف من الأحاديث لهم في هذا أربع طرق:

الطريق الأولى: الجمع مهما أمكن، هذا هو المقدم حيث أمكن، فإن لم يتيسر ذلك رجع إلى النسخ، ونسخ المتقدم بالمتأخر، إذا توافرت الشروط وعلم التاريخ، فإن لم يتيسر ذلك رجع إلى الطريق الثالث، وهو الترجيح، فإن لم يتيسر ذلك رجع إلى الطريق الرابع، وهو التوقف حتى يتبين الأمر، التوقف مؤقت، التوقف ليس أمراً مُستمرّاً، بل هو أيضاً مؤقت ريثما يتبين لطالب العلم أحد الأوجه الثلاثة السابقة: من جمع، أو نسخ، أو ترجيح.

ومن أوجه الجمع: أن يُحمل النَّهي على الكراهة، أو الأمر، أو الفعل على الجواز. ومن أوجه الجمع: حمل الأمر على النَّدب، لا على الوجوب، بدليل أنه لم يعمل ذلك الأمر، وطرق الجمع متنوعة.

وهنا يمكن الجمع عندما قال: بُسَّ الخطيبُ أنت الكراهة، قد لا، فُحْمَل على الكراهة، ولكن كيف يُقال أنه استعمل ما هو مكروه غالب الأحوال مع أن ظاهره المنع في رواية أبي داود: قم، بُسَّ الخطيبُ أنت، بزيادة "قم"، والأرجح والأظهر عند التأمل هو الترجيح؛ ترجيح أحاديث جمع الضمير على أحاديث بُسَّ الخطيبُ أنت.

وَكَانَ مَدَارُ خُطْبِهِ عَلَى حَمْدِ اللَّهِ وَالتَّنَاءِ عَلَيْهِ بِآلَائِهِ وَأَوْصَافِ كَمَالِهِ وَمَحَامِدِهِ، وَتَعْلِيمِ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ، وَذِكْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْمَعَادِ، وَالْأَمْرِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَتَبْيِينَ مَوَارِدِ غَضَبِهِ، وَمَوَاقِعِ رِضَاةِ.

الشيخ: وهذا من خطبه ما بين مذكر بالله وأسمائه وصفاته وعظيم حقه وكمال صفاته، وما بين التذكير لما يجب لله من الحقوق والطاعات والتحذير مما ينهى عنه سبحانه من الأخلاق والأعمال والأقوال، وهكذا التبشير بالجنة والنار، وما أعدَّ الله للمتقين في الجنة، وما أعدَّ الله للكفار في النار، وما بين والمعاصي وبيان سوء عاقبتها، وما بين الحث على الدَّعوة إلى الله، والترغيب في دينه، والتحذير من الإعراض والغفلة عما جاء به رسوله عليه الصلاة والسلام، وما بين قصص عما مضى من الأنبياء وأحوالهم، وما جرى عليهم، وما جرى على أممهم؛ للعتة والذكرى والتأسي بالأخلاق، والصبر على ما صبر عليه الرسل وأتباعهم.

.....

فَعَلَى هَذَا كَانَ مَدَارُ خُطْبِهِ.

وَكَانَ يَقُولُ فِي خُطْبِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ لَنْ تُطِيقُوا -أَوْ: لَنْ تَفْعَلُوا- كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا وَأَبْشِرُوا.

وَكَانَ يَخْطُبُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا تَقْتَضِيهِ حَاجَةُ الْمُخَاطَبِينَ وَمَصْلَحَتُهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ يَخْطُبُ خُطْبَةً إِلَّا افْتَتَحَهَا بِحَمْدِ اللَّهِ، وَيَتَشَهَّدُ فِيهَا بِكَلِمَتِي الشَّهَادَةِ، وَيَذْكُرُ فِيهَا نَفْسَهُ بِاسْمِهِ الْعَلَمِ.

وَتَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُدٌ فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ.

الشيخ: أيش قال على؟

الطالب: وَتَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُدٌ فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ، قال الترمذي:

الشيخ: الحاشية؟

الطالب: نعم، وأحمد في "المسند"، وسنده قوي، وحسنه الترمذي وغيره.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَاوِيشُ يَخْرُجُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذَا خَرَجَ مِنْ حُجْرَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ يَلْبَسُ لِبَاسَ الْخُطَبَاءِ الْيَوْمَ، لَا طُرْحَةً، وَلَا زِيْفًا وَاسِعًا.

الشيخ: يعني ملابسه عادية عليه الصلاة والسلام، كما يلبس عند الناس في الأوقات الأخرى، إلا أنه كان يتحرى الشيء الجديد والطيب، مثلما قال عمر في جبة عطارذ يلبسها للوفود والجمعة، وكان يتحرى اللباس الحسن في الخطب والأعياد، لكن لم يكن هناك زيٌّ خاصٌ يخصُّ به الجمعة أو الأعياد، سوى التجميل والتطيب ونحو ذلك مما يُشرع في يوم العيد، ولم يكن هناك شاوِيش يعني: رجل خاصٌ يتكلم بين يديه، ويخرج أمامه إذا خرج، كان مُتواضعًا عليه الصلاة والسلام.

.....

وَكَانَ مُنْبِرُهُ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ، فَإِذَا اسْتَوَى عَلَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ النَّاسَ أَخَذَ الْمُؤَذِّنُ فِي الْأَذَانِ فَقَطُّ، وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، فَإِذَا أَخَذَ فِي الْخُطْبَةِ لَمْ يَرْفَعْ أَحَدٌ صَوْتَهُ بِشَيْءٍ الْبَتَّةَ، لَا مُؤَذِّنٌ وَلَا غَيْرُهُ.

الشيخ: الكل يستمع، إذا شرع في الخطبة أنصت الناس يستمعون، وكان ليس هناك بعد الأذان كما يفعله بعض الناس في بعض الجمع، ليس هذا من فعله عليه الصلاة والسلام، إنما الإمام يُذكر الناس، إذا قال الخطبة أنصتوا، أو لا تتكلموا والإمام يخطب، ونصح الناس، هذا من مقاصد الخطبة، لكن لا يكون هناك واحد يعدُّ لهذا الشيء، يقول للناس: افعلوا كذا، وافعلوا كذا، ليس هذا بمشروع.

.....

وَكَانَ إِذَا قَامَ يَخْطُبُ أَخَذَ عَصًا فَتَوَكَّأَ عَلَيْهَا وَهُوَ عَلَى الْمُنْبَرِ. كَذَا ذَكَرَهُ عَنْهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ.
وَكَانَ الْخُلَفَاءُ الثَّلَاثَةُ بَعْدَهُ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ.

الشيخ: هذا رواه أبو داود بإسنادٍ حسنٍ عن الحسن بن الحسن: أنه رأى النبي ﷺ يخطب بكلمات معدودات، وكان يتكئ على عصا أو قوس يوم الجمعة. وروى عنه بإسنادٍ ضعيفٍ أنه فعل ذلك في العيد أيضاً، فالأمر في هذا واسع، أيش قال المحشي عليه؟

الطالب:

الشيخ: وفي إسناده، لكنه شاهد لهذا الحديث.

الطالب:

وَكَانَ أحياناً يَتَوَكَّأَ عَلَى قَوْسٍ، وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ أَنَّهُ تَوَكَّأَ عَلَى سَيْفٍ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْجَهْلَةِ يَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ يُمَسِّكُ السَّيْفَ عَلَى الْمُنْبَرِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا قَامَ بِالسَّيْفِ، وَهَذَا جَهْلٌ قَبِيحٌ مِنْ وَجْهَيْنِ:
أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَحْفُوظَ أَنَّهُ ﷺ تَوَكَّأَ عَلَى الْعَصَا وَعَلَى الْقَوْسِ.

الثَّانِي: أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا قَامَ بِالْوَحْيِ، وَأَمَّا السَّيْفُ فَلَمْ يَحَقِّقْ أَهْلَ الضَّلَالِ وَالشَّرِكِ، وَمَدِينَةُ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ فِيهَا إِنَّمَا فُتِحَتْ بِالْقُرْآنِ وَلَمْ تُفْتَحْ بِالسَّيْفِ.

وَكَانَ إِذَا عَرَضَ لَهُ فِي خُطْبَتِهِ عَارِضٌ اشْتَغَلَ بِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى خُطْبَتِهِ، وَكَانَ يَخْطُبُ فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَعْثُرَانِ فِي قَمِيصَيْنِ أَحْمَرَيْنِ، فَقَطَعَ كَلَامَهُ فَنَزَلَ فَحَمَلَهُمَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى مُنْبَرِهِ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ [التغابن: 15]، رَأَيْتُ هَذَيْنِ يَعْثُرَانِ فِي قَمِيصَيْهِمَا فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ كَلَامِي فَحَمَلْتُهُمَا.

الشيخ: هذا يدل على الرأفة والرحمة والعطف والتواضع.

وَجَاءَ سَلِيكَ الْغُطْفَانِي وَهُوَ يَخْطُبُ فَجَلَسَ، فَقَالَ لَهُ: قُمْ يَا سَلِيكَ فَارْكَعْ رَكَعَتَيْنِ وَتَجَوَّزْ فِيهِمَا، ثُمَّ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمُنْبَرِ: إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا.

وَكَانَ يَقْصِرُ خُطْبَتَهُ أحياناً، وَيُطِيلُهَا أحياناً بِحَسَبِ حَاجَةِ النَّاسِ، وَكَانَتْ خُطْبَتُهُ الْعَارِضَةُ أَطْوَلَ مِنْ خُطْبَتِهِ الرَّائِبَةِ.

الشيخ: الغالب التخفيف، وإلا قد يطول إذا اقتضى الحال.

وَكَانَ يَخْطُبُ النِّسَاءَ عَلَى حِدَةٍ فِي الْأَعْيَادِ، وَيُحَرِّضُهُنَّ عَلَى الصَّدَقَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فُصُولٌ فِي هَدْيِهِ ﷺ فِي الْعِبَادَاتِ

.....

الشيخ: الغالب التقصير، وقد يُطوّل كما في حديث وعمر بن الخطاب وجماعة خطب وطوّل لأسبابٍ.

س:.....؟

ج: حديث عمار وما جاء في معناه، وحديث عائشة وما جاء في معناه، كلها تدل على أنّ الأغلب عدم











فصل

فِي أَمْرِ مَسْجِدِ الضَّرَارِ الَّذِي نَهَى اللَّهُ رَسُولُهُ أَنْ يَقُومَ فِيهِ، فَهَدَمَهُ ﷺ

وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ تَبُوكَ حَتَّى نَزَلَ بِذِي أَوَانَ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سَاعَةٌ، وَكَانَ أَصْحَابُ مَسْجِدِ الضَّرَارِ أَتَوْهُ وَهُوَ يَتَجَهَّزُ إِلَى تَبُوكَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا قَدْ بَنَيْنَا مَسْجِدًا لِذِي الْعَلَّةِ وَالْحَاجَةِ وَاللَّيْلَةِ الْمُطِيرَةِ الشَّائِيَةِ، وَإِنَّا نَحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنَا فَنُصَلِّيَ لَنَا فِيهِ. فَقَالَ: إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ وَحَالٍ شَعْلٍ، وَلَوْ قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَأَتَيْنَاكُمْ فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ، فَلَمَّا نَزَلَ بِذِي أَوَانَ جَاءَهُ خَبَرُ الْمَسْجِدِ مِنَ السَّمَاءِ، فَدَعَا مَالِكَ بْنَ الدَّخْشَمِ، أَخَا بَنِي سَلَمَةَ بْنِ عَوْفٍ، وَمَعْنُ بْنُ عَدِي الْعَجَلَانِي، فَقَالَ: انْطَلِقَا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمَاهُ وَحَرِّقَاهُ، فَخَرَجَا مُسْرِعِينَ حَتَّى أَتَيَا بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، وَهُمْ رَهْطُ مَالِكَ بْنِ الدَّخْشَمِ، فَقَالَ مَالِكُ لِمَعْنٍ: أَنْظِرْنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْكَ بِنَارٍ مِنْ أَهْلِي، وَدَخَلَ إِلَى أَهْلِهِ، فَأَخَذَ سَعْفًا مِنَ النَّخْلِ فَأَشْعَلَ فِيهِ نَارًا، ثُمَّ خَرَجَا يَشْتَدَانِ حَتَّى دَخَلَا فِيهِ أَهْلُهُ، فَحَرَّقَاهُ وَهَدَمَاهُ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ [التوبة: 107] إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ.

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ الَّذِينَ بَنَوْهُ، وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، مِنْهُمْ ثَعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ.

وَذَكَرَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ: حَدَّثَنِي معاوية بن صالح، عَنْ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا: هُمْ أَنَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ابْتَنَوْا مَسْجِدًا، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو عَامِرٍ: ابْنُوا مَسْجِدَكُمْ وَاسْتَمِدُّوا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ سِلَاحٍ، فَإِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ، فَآتِي بِجُنْدٍ مِنَ الرُّومِ، فَأُخْرِجُ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ مَسْجِدِهِمْ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّا قَدْ فَرَّغْنَا مِنْ بِنَاءِ مَسْجِدِنَا، فَحُجِبُ أَنْ تُصَلِّيَ فِيهِ وَتَدْعُو بِالْبَرَكَةِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ يَعْنِي: مَسْجِدَ قِبَاءٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ إِلَى قَوْلِهِ: فَأَنهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ [التوبة: 108، 109] يَعْنِي: قَوَاعِدَهُ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ يَعْنِي: الشُّكَّ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ [التوبة: 110] يَعْنِي: بِالْمَوْتِ.

الطالب: في الحاشية: عبدالله بن صالح هو كاتب الليث، ضعيف، وعلي ابن أبي طلحة لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما، وقال ابن جرير في تفسير هذه الآية: يقول تعالى ذكره: لا يزال بنيانُ هؤلاء الذين اتَّخذوا مسجدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا رِيبَةً، يقول: لا يزال مسجدُهم الذي بنوه رِيبَةً في قلوبهم، يعني: شكًا ونفاقًا في قلوبهم، يحسبون أنهم كانوا في بنائه مُحْسِنِينَ، إلا أن تقطع قلوبهم، يعني: إلا أن تتصدع قلوبهم فيموتوا، والله عليم بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضَّرَارِ من شَكِّهم في دينهم، وما قصدوا في بنائهم وأرادوا، وما إليه صائر أمرهم في الآخرة، وفي الحياة ما عاشوا، وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم، حكيم في تدبيره إياهم، وتدبير جميع خلقه.

الشيخ: وهذا من جنس أفعال المنافقين، المنافقون أعمالهم الخبيثة كثيرة، ولكن الله أبطل كيدهم، وأضلّ سعيهم، وباعوا بالخبيثة والخسران، وفضحهم الله، ومن ذلك عملهم في هذا المسجد الذي لبسوا فيه وقالوا للنبي: إنهم أرادوا به الضّعيف والمسكين وأصحاب الحاجة، وفي الليلة المطيرة، وأشبه ذلك، وهم قصدوا به إرصاداً لمن حارب الله ورسوله، جعله حصناً له يأوي إليه، وهو أبو عامر الراهب المعروف، الذي فرّ من الإسلام إلى مكة، ثم إلى الروم، ويُقال له سابقاً: الراهب، فلما كفر بالحقّ قيل له: أبو عامر الفاسق الضّالّ، فضحهم الله، وأنزل في مسجدهم ما أنزل، وهدمه النبي ﷺ، وبيّن ضلالهم، وهكذا المساجد التي تُبنى على غير وجه شرعي يجب أن تُزال وتُهدم، وألا تُبنى إلا على الوجه الشرعي.

المقصود أنّ الله جلّ وعلا فضح المنافقين في مواضع كثيرة من أعمالهم الخبيثة، فذلك منه جلّ وعلا نصراً لنبيه، وتأبيداً لنبيه، وفضيحة لأعدائه، وهكذا يقول جلّ وعلا: وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ [الحج:40]، ويقول جلّ وعلا: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ [غافر:51]، ويقول جلّ وعلا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [محمد:7]، فالمؤمنون إذا استقاموا ونصروا دين الله نصرهم الله وأيدهم وإن قلّوا، وإنما يُؤخذ الناس بذنوبهم وسيئاتهم وتفريطهم: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ [الشورى:30].

فالواجب على المؤمن أن يُراقب الله، والواجب على كل مسلم، وعلى كل مُكلّف أن يتّقى الله، وأن يُراقب الله فيما يأتي ويذر، وأن يحذر عقوبة الله العاجلة والآجلة، ولا يحسبن الله تخفى عليه خافية، إنّ الله جلّ وعلا يعلم ما تُخفيه الصدور: إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [آل عمران:119].

فالواجب الحذر من مغبة السيئات والأعمال الخبيثة، والله يقول سبحانه: وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ [آل عمران:28]، ويقول جلّ وعلا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ [النساء:71]، فلا ينبغي للعاقل أن يغترّ بما يتظاهر به بعض الناس حتى يسبر الأمر وينظر، حتى تبين المصلحة، وحتى تندفع المفسدة.

س:

ج: مسجد قباء ومسجد النبي، كلاهما، مسجد قباء بُني على النّقى من أول يوم، ومسجد الرسول من باب أولى؛ ولهذا قال لما سأله قال: مسجدي هذا يعني: مسجدي ومسجد قباء كلاهما أسس على النّقى.

.....

فَصَلِّ

فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ خَرَجَ النَّاسُ لِتَلْقَائِهِ، وَخَرَجَ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ وَالْوَلَايْدُ يَقُلْنَ:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ

وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا إِلَهُ دَاعٍ

وَبَعْضُ الرُّوَاةِ يَهُمُّ فِي هَذَا وَيَقُولُ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ مَقْدَمِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ مَكَّةَ، وَهُوَ وَهُمْ ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ، لَا يَرَاهَا الْقَادِمُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا يَمُرُّ بِهَا إِلَّا إِذَا تَوَجَّهَ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: هَذِهِ طَابَةُ، وَهَذَا أُحُدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ.

الطالب: متفق عليه من حديث أنس.

الشيخ: طابة من أسماء المدينة، طابة وطيبة من أسماء المدينة، وفي هذا دلالة على أَنَّ بعض البقاع والجبال لها إحساس في حبِّ الله ورسوله: هذا جبلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، الله يجعل فيها ما يشاء I.

س:

ج: مثلما سمعت، الله أعلم.

فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي أَمْتَدِّحَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُلْ لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَالَكَ، فَقَالَ:

مِنْ قَبْلِهَا طُبْتُ فِي الظَّلَالِ وَفِي

ثُمَّ هَبَطْتُ الْبِلَادَ لَا بَشَرٌ

بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينِ وَقَدْ

تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ

حَتَّى احْتَوَى بَيْنَكَ الْمُهَيِّمُ مِنْ

وَأَنْتَ لَمَّا وَلِدْتَ أَشْرَقْتَ الْ

فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الصِّيَاءِ وَفِي النَّ

الشيخ: ما علق بشيء؟

الطالب: نسبه إلى "المستدرک"، والبيهقي في "الدلائل" فيما ذكره الحافظ فقط.

فَصَلِّ

وَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَجَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفَفُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَخْلَفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةَ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ، وَاسْتَعْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ.

وَجَاءَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، فَلَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: نَعَالَ، قَالَ: فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتِغَتْ ظَهْرَكَ؟! فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ أَخْرُجَ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ إِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَلَيَّ، لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ عَنِّي، وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمَّ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ، فَقُمْتُ.

وَنَارَ رَجَالٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَاتَّبَعُونِي يُؤَيَّبُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ إِلَّا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتَغْفَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَكَ! قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَيَّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِيَ أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَمَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَمَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مَرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَامِرِي، وَهَلَالُ بْنُ أُمِيَةِ الْوَاقِفِي. فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أَسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي.

وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ وَتَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرْتُ لِي الْأَرْضُ، فَمَا هِيَ بِالَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكْنَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا بِيَكْيَانٍ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدُهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ.

الشيخ: وفي هذا دلالة على عظيم طاعة الصحابة للرسول ﷺ، وعنايتهم بالسمع والطاعة، لما أمرهم بهجر الثلاثة اجتنابهم وهجروهم، فدلَّ على كمال الإيمان، وقوة الإيمان، والعناية بالسمع والطاعة للرسول عليه الصلاة والسلام.

وفي ذلك حكمة: حتى يرتدع الناس عن إظهار المعاصي والإصرار عليها، وأنَّ صاحبها على خطرٍ.

وفي ذلك من الفوائد: أنها وإن عظمت فإنَّ الله يمحوها بالتوبة الصادقة، فهؤلاء تاب الله عليهم، وربحوا الدنيا والآخرة، وأولئك المخلفون الكاذبون خسروا الدنيا والآخرة، نسأل الله العافية.

فالواجب الصبر على الحق وإن كانت فيه غضاضة، لا بد من الصبر على الحق والثبات عليه، وإن أصابك ما أصابك، والحذر من الباطل، وإن تزخرت به الدنيا، وحصل به ما قد يحصل لأهل الدنيا، فالحق أحق بالاتباع وأولى، والعاقبة لأهل التقوى، كما قال تعالى: فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ [هود:49]، فهو لاء جعل الله لهم العاقبة الحميدة، وأنزل فيهم: وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلُّوا [التوبة:118]، وأولئك باءوا بالخيبة والخسارة، نسأل الله العافية.

وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأُطَوِّفُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَاتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَكَ شَفَتَيْهِ بَرِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أَصْلِي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأَسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَّفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أُنْشِدْكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أَحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ.

فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبْطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ الشَّامِ مَمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ بِيْعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بَدَارَ هَوَانٍ وَلَا مَضْنِيعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ"، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّوَرَّ فَسَجَرْتُهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ أَمْرَاتِكَ، فَقُلْتُ: أَطْلُقُهَا أَمْ مَاذَا؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ اعْتَزْلُهَا وَلَا تَقْرُبْهَا، وَأَرْسَلَ إِلَيَّ صَاحِبِي مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لَأَمْرَاتِي: الْحَقِّي بِأَهْلِكَ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هَالَلِ بْنِ أُمِيَةَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَالَلَ بْنَ أُمِيَةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرُبْكَ، قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَّا شَيْءٌ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا.

قَالَ كَعْبٌ: فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي أَمْرَاتِكَ كَمَا أَذِنَ لَامْرَأَةِ هَالَلَ بْنِ أُمِيَةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ.

وَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى سَطْحِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى: قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلٍ سَلَعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، أَبْشِرْ، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، فَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ

فَرَجَّ مِنْ اللَّهِ، وَأَذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى الْفَجْرَ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى ذِرْوَةِ الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ.

فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللَّهُ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، فَأَنْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَيِّئُونِي بِالنُّوبَةِ، يَقُولُونَ: لِيَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ.

قَالَ كَعْب: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي، وَاللَّهُ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلَسْتُ أَنْسَاهَا لَطْلَحَةً، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: أَبَشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمُّكَ، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَتْهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلَعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، فَقَالَ: أُمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَبِيرٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَلَّا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيْتُ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا مَا أَبْلَانِي، وَاللَّهُ مَا تَعَمَّدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيْتُ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِلَى قَوْلِهِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة: 117-119]، فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ نِعْمَةً قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ، قَالَ: سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ إِلَى قَوْلِهِ: فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ [التوبة: 95، 96].

قَالَ كَعْب: وَكَانَ تَخَلُّفُنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ: وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا [التوبة: 118]، وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خَلَفْنَا عَنِ الْعَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ.

الشيخ: وفي هذه القصة -قصة الثلاثة: كعب وصاحبيه: مرارة بن الربيع العامري، وهلال بن أمية الواقفي- الدلالة العظيمة على وجوب الصِّدْقِ، والحذر من الكذب، وأنَّ عاقبة الصدق حميدة، وعاقبة الكذب وخيمة؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصَّادِقِينَ [التوبة:119]، وقال جلَّ وعلا في آخر سورة المائدة: قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [المائدة:119].

وقال النبي ﷺ: عليكم بالصدق، فإنَّ الصِّدْقَ يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصِّدْقَ حتى يُكْتَبَ عند الله صديقًا، وإياكم والكذب، فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكْتَبَ عند الله كذَّابًا.

وقال في هؤلاء الكذَّابين: يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ [التوبة:96].

المقصود أنَّ الله جلَّ وعلا أثنى على الصَّادِقِينَ، وذمَّ الكذَّابين، وحذَّر من أخلاقهم الذميمة.

فالواجب على المؤمن في جميع أموره أن يتحرى الصِّدْقَ، وأن يحذر الكذب في أعماله وأقواله؛ طاعةً لله جلَّ وعلا، والتماسًا لمرضاته، وحذرًا من عاقبة الكذب، ولا يجوز الكذب إلا في الأمور التي رخص فيها الربُّ ﷻ: كالحرب، وحديث الرجل امرأته، والمرأة زوجها، والإصلاح بين الناس، كما جاء في الحديث الصحيح عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت: لم أسمع النبيَّ ﷺ يُرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاثة: الإصلاح بين الناس، والحرب، وحديث الرجل امرأته، والمرأة زوجها. فلا بأس بهذا الكذب: للإصلاح بين الناس، أو في الحرب: الحرب خدعة، أو فيما يتعلق بين الرجل وأهله فيما يكون بينهما، إذا كذبت عليه أو كذب عليها للإصلاح بينهما فيما يتعلق بهما أنفسهما، والحرب كونه يُظهر شيئًا من الكذب، ليس فيه إخلالٌ بعهدٍ، فليس فيه نقضٌ للعهد، وليس فيه خيانة، ولكن فيه مصلحة للمسلمين، وكان ﷺ إذا أراد غزوةً ورَّى بغيرها؛ حتى يهجم على العدو على غِرةٍ، غير مُستعدٍّ، فإذا رأى في الكذب مصلحةً من غير إخلالٍ بعهدٍ ولا غدرٍ فلا بأس، كأن يكون العدو متحصنًا مثلًا فيظهر ولي الأمر ورئيس الجيش أنه قافل؛ حتى يخرج العدو، حتى يبرز، فيقول: إنا قافلون. فإذا مشى وتجاوز المحلَّ وخرج العدو من حصنه كَرَّ عليهم؛ لأنَّ هذا فيه مصلحة الجهاد، ومصلحة المسلمين، وليس فيه إخلالٌ بعهدٍ، وإنما فيه مكيدة للعدو.

س:.....؟

ج: لا، لا يكذب في الرؤيا، جاء فيها الوعيد، لكن يُصلح بين الناس بالأشياء الأخرى غير الرؤيا.

وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ: حَدَّثَنِي معاوية بن صالح، عَنْ علي بن أبي طلحة، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا [التوبة:102] قَالَ: كَانُوا عَشْرَةَ رَهْطٍ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَلَمَّا حَضَرَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْثَقَ سَبْعَةَ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِسَوَارِي الْمَسْجِدِ، وَكَانَ يَمُرُّ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَجَعَ فِي الْمَسْجِدِ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ قَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الْمُوثِقُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالسَّوَارِي؟ قَالُوا: هَذَا أَبُو لُبَابَةَ وَأَصْحَابُ لَهُ تَخَلَّفُوا عَنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْثَقُوا أَنْفُسَهُمْ حَتَّى يُطْلَقَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَيَعْذِرَهُمْ، قَالَ: وَأَنَا أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا أُطْلِقُهُمْ وَلَا أَعْذِرُهُمْ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُطْلِقُهُمْ، رَغِبُوا عَنِّي وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ قَالُوا: وَنَحْنُ لَا نُطْلِقُ أَنْفُسَنَا حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُطْلِقُنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، وَعَسَى مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [البقرة: 37]، فَلَمَّا نَزَلَتْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَأُطْلِقَهُمْ وَعَذَرَهُمْ، فَجَاءُوا بِأَمْوَالِهِمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ أَمْوَالُنَا فَتَصَدَّقْ بِهَا عَنَّا، وَاسْتَغْفِرْ لَنَا. قَالَ: مَا أَمَرْتُ أَنْ أَخْذَ أَمْوَالَكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ يَقُولُ: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ صَلَّاتُكَ سَكَنُ لَهُمْ [التوبة: 103]، فَأَخَذَ مِنْهُمْ الصَّدَقَةَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ.

وَكَانَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ لَمْ يُوثِقُوا أَنْفُسَهُمْ بِالسَّوَارِي، فَأَرْجُوا لَا يَذْرُونَ: أَيْعَذَّبُونَ أَمْ يَتَابُ عَلَيْهِمْ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِلَى قَوْلِهِ: وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا إِلَى قَوْلِهِ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [التوبة: 117، 118]. تَابَعَهُ عَطِيَّةُ بْنُ سَعْدٍ.

الطالب: في الحاشية: إسناده ضعيف؛ لضعف عبدالله بن صالح، وعلي ابن أبي طلحة روايته عن ابن عباس رضي الله عنهما مرسلة.

الشيخ: الأثر ضعيف لا شك؛ لانقطاعه، ولضعف عطية أيضاً العوفي، أما عبدالله بن صالح فهو فيه بعض النقص، ولكنه من شيوخ البخاري رحمه الله، وليس على إطلاقه ما قاله المحشي، بل له بعض الأغلاط والنقص، وليس بمطلق الضعف، انظر كلامه في "التقريب" عن عبدالله بن صالح، كاتب الليث.

س:

ج: ضعيفة نعم.

الطالب: عبدالله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني، أبو صالح المصري، كاتب الليث، صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة، من العاشرة، مات سنة اثنتين وعشرين، وله خمس وثمانون سنة. (خت، د، ت، ق).

الشيخ: نعم، هذا هو الصواب، فيه بعض الأغلاط، وثبت في كتابه رحمه الله.

الطالب: إذا حدث من كتابه؟

الشيخ: نعم، ثقة من كتابه، لا بأس به.







